كتـــاب (حليفنا صـــدام)

الباب الرابـــع

لـــوبي لا يلقي سلاحـــه

ترجمة: سلام العبودي

في ٥ آب ١٩٨٧، نشرت جريدة لوكنار إنشينيه الأسبوعية مقاطع من رسالة شيراك هذه. وكتبت أن رئيس الوزراء ليس لديه أي سبب ليستخدم التعبير الغامض "المفاوضات التي تعرفونها" في رسالة سرية موجهة إلى رجل يتباهى بكونه صديقه، إذا كان الأمر يتعلق بأسلحة أو ديون. وأضافت صحيفة لوكنار إنشينيه بأن هذا التعبير الغامض يتعلق، وبشكل أكيد تقريبا، بإعادة بناء مفاعل البحث النووي تموز وأن في طويَّة رئيس الوزراء الفرنسي يُفترض بصدام حسين: أولاً، انتظار نهاية الحرب وفوز جاك شيراك في انتخابات الرئاسة لعام ١٩٨٧؛ وثانياً الموافقة على تخفيض قوة مفاعل تموز التي كان عليها قبل تدميره (٥٦).

وقبل تطرق جريدة لوكنار إنشينيه الأسبوعية إلى الموضوع بأسبوعين، أكد السفير الفرنسي في الكويت، مارسيل لوجل Marcel Laugel، أن مفاوضات قد جرت بين باريس وبغداد لإعادة بناء تموز. وفي ٢٠ تموز، نشرت جريدة الأنباء الكويتية مقابلة معه (٥٧).

وقد قدمت المقابلة تحت عنوان من جزأين: "السفير الفرنسي لـ الأنباء: "مستعدون لتزويد الكويت بالأسلحة" "مفاوضات مع العراق لإعادة بناء مفاعله النووي". وهي معلومة تناولتها المقابلة التي نشرت تحت هذا العنوان. ولإضافة صورة توضيحية للموضع، نشرت الصحيفة الكويتية صورة لمارسيل لوجل وهو يتحاور مع الصحفية فاطمة منصور، أمام منضدة وضع عليها جهاز تسجيل، وهو تفصيل مهم في نشر الموضوع (٥٨).

إن تاريخ ظهور هذه المقابلة ليس بدون فائدة: لقد تحدث مارسيل لوجل عن إعادة بناء تموز، بعد شهر من تاريخ إرسال جاك شيراك رسالته السرية إلى صدام حسين.

رغم ذلك، أنكر مارسيل لوجل مثل هذه الأقوال. وربما لاعتقادها أن إنكار مارسيل لوجل قد لا يكفي، نشرت الخارجية الفرنسية بدورها تكذيبا للأقوال التي أدلى بها سفيرها.

❖ ❖ ❖

بعد عدة ساعات من نشر مقتطفات من رسالته إلى صدام حسين، استقبل جاك شيراك من قبل فرانسوا ميتران، الذي لم تنقل إليه الخارجية تلك البرقية المشهورة.

قال له الرئيس: "السيد رئيس الوزراء، إنني متردد بين الغضب من رؤيتك تتجاهل الدستور مرة أخرى وتظهر احتقارك لمنصب رئيس الجمهورية، وبين قناعتي بأنك لن تستطيع أن تتهم أياً من مساعديّ بتسريب هذه البرقية. لذلك عليك أن تبذل جهدك لتكذيب كل ما كتب حول هذا الموضوع، سواء لدى الإسرائيليين أم العراقيين."

كان شيراك في موقف صعب. وقد دافع بشكل سيئ، لكنه أكد أنه سبق أن اتصل هاتفياً بالسفير الإسرائيلي، أوفاديا سوفير Ovadia Soffer، لكي ينفي له أي التزام من جانبه لصالح إعادة بناء مفاعل تموز (٥٩).

أكد ميشيل نوار رواية جاك شيراك حول مهمته في بغداد. فحسب رأيه، لم تكن المهمة تتعلق إلا بمفاوضات مهمة حول الديون والاعتمادات لعقود مستقبلية. وقال: "إن مسائل الاعتمادات لشحنات أسلحة جديدة لم تناقش مع الرئيس على الإطلاق. إنها مسألة من اختصاص وزاري، ذلك كل ما في الأمر.(٦٠)"

وهذا رأي، بطبيعة الحال، لا يتفق معه فرانسوا ميتران. ويقول: "حين يتعلق الأمر بإبرام عقود جديدة، فإن ذلك تبدل في السياسة. ويتوجب أن أحاط به علماً. فيما يخص توجهات السياسة الخارجية، أنا من يقرر."

❖ ❖ ❖

أثناء لقائه بصدام حسين الذي نقل خلاله رسالة جاك شيراك، قيل لميشيل نوار: "أنتم تعرفون أن هناك مجهزي أسلحة آخرين غير فرنسا." لكنه تهديد شفهي لا يتبعه إجراء. وقد افتتحت المفاوضات، بعد الظهر، في الساعة الرابعة عشرة وثلاثين دقيقة، واستمرت حتى الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي. وقد تم الاتفاق على الاعتمادات بالنسبة لطائرات الميراج، مع بعض الوعود العراقية بتسوية جزء من ديونها في مجال العقود المدنية.

لقد شجب إدوارد بلادور سياسة التنازلات بلا مقابل. فبعد مهمة ميشيل نوار بشهرين، قرر أن يذكرها في رسالة وجهها، في ٢٥ أيلول ١٩٨٧، إلى جاك شيراك، في اليوم ذاته الذي وصل فيه مبعوثان من رئيس الوزراء إلى بغداد، هما كاميل كابانا Camille Cabana وفرانسوا بوجون François Bujon، على رأس وفد للمشاركة في مهرجان بابل. وحين استقبلهما صدام حسين، هتف: "كيف حال أخي وصديقي جاك شيراك؟"

❖ ❖ ❖

كانت لهجة رسالة بالادور معتدلة، فليس هناك مجال ليبدو متعاليا مع جاك شيراك بالقدر ذاته من التعالي مع "مرؤوسه" وزير المالية، آلان جوبه. فقد أعلن بالادور، قبل كل شيء، أنه يوافق على أن تكون عقود الأسلحة مضمونة من قبل الشركة الفرنسية للتأمين على التجارة الخارجية (كوفاس Coface)، ثم كتب:

"الاحظ أن الموقف الذي نجد أنفسنا فيه اليوم يمكن للمرء تفسيره جزئياً بكون أن بعض الصناعيين لم يحترموا التعليمات التي أعطيت لهم. (هكذا يؤكد وزير المالية أن مصنعي الأسلحة قد أبرموا تعهدات مع العراق أكثر مما هو مسموح لهم به.)

وأوضح كذلك: "وهذا الوضع يمكن تفسيره جزئياً كذلك بكون أن وزارة الدفاع امتنعت عن تحديد أوليات." (يتعلق الأمر هنا بانتقاد موقف أندريه جيرو ودوائره، المؤيدة جداً لمضاعفة العقود.)

أخيراً، اختتم إدوارد بالادور رسالته هكذا:

"إذا ما أصدرتم حكمكم لصالح الطلب العراقي، من المناسب تحديد الضمان المقدم إلى مصانع إيروسباسيال، وتحديد قيمة عقد داسو بثلاثة مليارات فرنك."

لن يكون حذر بالادور درساً للآخرين، فقد التزم جاك شيراك بإفراط بما وعد، ولم تعد داسو تحصل على زبائن جدد في الخارج، ويتوجب أن يصمد العراق جيدا.

❖ ❖ ❖

خلال عامي التعايش بين اليمين واليسار، لم يوفر أنصار العراق جهودهم، رغم وجود رجل في قصر ماتينيون تعهده بالوفاء بالتزامه تجاه العراق كان يفترض أن يدخل الطمأنينة إلى قلوبهم.

أكد دبلوماسي عمل طويلاً في بغداد: "إن سياسة فرنسا تجاه العراق يصنعها، في الغالب، العراقيون أنفسهم. فقد نجحوا في اختراقنا. إنهم يعرفون كيف يناورون، ويستثمرون الخلافات، ويؤلبون الإدارات والدوائر والوزارات بعضها ضد البعض الآخر. لقد كانوا يجعلون آخرين غيرهم يدافعون عن مصالحهم."

إن إثبات الحالة مسألة شائكة، لكن رجال صدام حسين يعرفون اللعب على كل الحبال، ويستخدمون الدول العربية بمثابة همزة وصل. ففي كل مرة يقوم فيها الملك حسين، ملك الأردن، بزيارة لفرنسا، لا يفوت أبداً فرصة أن يشكر ميتران أو شيراك على الإسناد المقدم لحرب صدام حسين.

وفي الإدارة، اعتمد العراقيون على تعاطف من كل المستويات. ففي بعض الأحيان، يجدون بين أيديهم مذكرات داخلية تخص وزارة الخارجية، بفضل بعض الأصدقاء الذين يتبوأون مراكز جيدة في الوزارة، أو بفضل مهارة بعض تجار الأسلحة. ويؤكد عدة دبلوماسيين أنهم لاحظوا في الحقيقة هذا "التسرب".

ولم يكن الأمر يعني عمالة بالمعنى الحرفي للكلمة، فهؤلاء الموظفون الثرثارون جداً يتصرفون بحسن نية، لفائدة الدولتين، كما يقولون، وبداعي المصلحة العامة.

❖ ❖ ❖

في شباط ١٩٨٧، نظم جيل مونيه Gilles Munier، الأمين العام لمنظمة الصداقة الفرنسية - العراقية، جولة ريفية للسفير العراقي، المشاط. وقد زار الدبلوماسي، الذي تسحر عيونه الزرق أكثر من سحره كمحاور، مقرات بلديات اليسار واليمين، والتقى العديد من رؤساء الشركات المهتمين بعقود محتملة. ومن بين المدن الرئيسية التي زارها في جولته رينس، ومرسيليا، وتولوز، وغرينوبل، وبوردو، وكيمبر وبيريغو.

في بيريغو، ٧ شباط، أقيمت وليمة على شرف السفير حضرها ثلاثمائة مدعو يمثلون مختلف قطاعات الحياة في الإقليم. وقد حث المشاط النائب من حزب التجمع من أجل الجمهورية إيف غينا Yves Guéna، رئيس بلدية المدينة، إلى تأسيس جمعية تهدف إلى منافسة الجمعية التي يرأسها لوسيان بيترلان، وهي جمعية التضامن الفرنسية - العربية. والسبب وراء هذا الطلب هو أن بيترلان قد نشر قبل فترة كتاباً تضمن سيرة حياة مؤيدة جداً للسوري حافظ الأسد؛ الأمر الذي أثار غضب العراقيين عليه. والسبب الآخر للضغينة عليه: في عام ١٩٨٤، كان سفير صدام حسين قد طلب عبثا من بيترلان أن ينظم في باريس مظاهرة ضد إيران.

وقد بدا إيف غينا مهتماً باقتراح الدبلوماسي العراقي. وبتشجيع من جيل مونيه وشارل سانبرو، وإسناد من قبل جاك شيراك ومكتب جان برنار ريمون، كما من قبل سفارتي العربية السعودية والكويت، أسس غينا، في ١٢ حزيران ١٩٨٧، رابطة فرنسا - البلدان العربية.

❖ ❖ ❖

حال تأسيسها، تلقت هذه الرابطة طلبات انتماء من شخصيات يمينية ويسارية، سبق أن كانت منتمية إلى جمعيات فرنسية - عربية، مثل جيزيل شارزات Gisèle Charzat، دانيال غوليه Daniel Goulet وآلان مايو Alain Mayoud. وقد كانت الصلات مع السلطة القائمة واضحة للعيان. فقد حضر وزير الخارجية، جان برنار ريمون الاجتماع الأول للهيأة العامة. وقد وافق على أن ينسب أحد دبلوماسييه، وهو ديديه ديستريمون Didier Destremeau، كي يتولى منصب الأمين العام للرابطة، والذي استبدل فيما بعد بموظف آخر من الخارجية هو جيرار بروفوس Gérard Pruvost.

ووصلت "الاشتراكات" الأولى: اشتراكات من بعض الصناعيين، اشتراكات من غرفة التجارة الفرنسية - العربية التي يترأسها الوزير سابقاً الديغولي ميشيل حبيب ديلونكل Michel Habib-Delocle، وأخير اشتراكات الدول العربية الحليفة للعراق. وقد تولت رابطة فرنسا - البلدان العربية هذه تنظيم ندوات وحفلات استقبال ورحلات وتسهيل عدد معين من عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والشرق الأدنى.

قبيل نجاح اليمينيين ومشاركتهم اليساريين الحكم في فترة التعايش بوقت قصير، تأسست منظمة أخرى هي منظمة الصداقة الفرنسية - العراقية، في عام ١٩٨٥، من قبل جيل مونيه، والأستاذ في كلية فرنسا جاك بيرك، وجان بيار شفنمان، والكاهن ميشيل لولون Michel Lelong المسؤول سابقاً عن علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع الإسلام في فرنسا، وعضو الاتحاد من أجل الديمقراطية الفرنسية UDF آلان مائيو Alain Mayoud، وعضو التجمع من أجل الجمهورية RPR جورج كورس، والصحفي في جريدة لوموند Le Monde بول بالتا Paul Balta الذي ينشر في الغالب مقالات في المجلات التي توزعها سفارة العراق، مثل: رسالة بغداد La Lettre de Baghdad.

أصبح مونيه أمينا عاما للجمعية، وهو عنصر نشط جدا، ولا يخفي أبدا تعاطفه مع نظام صدام حسين. أما جان بيار شوفنمان، الذي كان آنذاك وزيراً للتربية الوطنية، فلم يحضر أبداً اجتماعات هؤلاء "الآباء المؤسسين"؛ لكنه كان يقدم لهم ضمانته. وقد انضم إلى الجمعية، بعد تأسيسها بعدة أشهر، بول ديبي، السفير في بغداد سابقا. ساهم جيل مونيه في تواصل حياة ست من جمعيات الصداقة الفرنسية - العربية، ابتداءً من عام ١٩٦٥، والتي كانت غالباً ما تضم الشخصيات نفسها، مثل: شارل سان برو، ميشيل لولون، آلآن مايو. وإذ كان يعتبر نفسه ديغوليا من اليسار، فقد عمل لفترة طويلة في الأوساط الوطنية ونشر مقالات مخالفة للمألوف. ففي عام ١٩٧٦، ناضل في الفرع الفرنسي من مجلة أوربا الفتاة Jeune Europe، مع المساهمة في أعمال مركز الدراسات والتوثيق حول مشكلة الشرق الأدنى. وقد أسس هذا المركز من قبل فرانسوا دوبرا François Duprat، أحد مؤسسي الجبهة الوطنية Le Front national والذي قتل في حادثة اغتيال عام ١٩٧٨، ومن قبل باتريك ديفيدجيان Patrick Devedjian الذي أصبح ابتداءً من ذلك التاريخ نائباً عن حزب التجمع من أجل الجمهورية.

❖ ❖ ❖

في زمن لاحق، إبان حرب الخليج على وجه التحديد عام ١٩٩١، أثارت المواقف التي اتخذها جان ماري لوبان Jean-Marie Le Pen بعض الدهشة في بعض الأحيان. فمن المؤكد وجود تيار مؤيد للعرب من اليمين المتطرف، والذي يجاهر بكونه "ضد الإمبريالية"، "ضد الصهيونية" و"القومية الأوربية". وتترجم أفكار هذا التيار في الغالب بمقالات معادية للسامية، تحت غطاء انتقاد للسياسة الإسرائيلية، وبإعجاب مثير للدهشة بنزعة القومية العربية. وقبل أزمة الكويت بالذات، نشرت جريدتا مينوت Minute وبريزان Présent، المقربتان من جان ماري لوبان، ريبورتاجات ومقالات مؤيدة جداً للنظام العراقي.

أما شارل سانبرو، الذي ألف كتابا حول سيرة حياة صدام حسين، فإنه "معروف بميوله المؤيدة للعرب أو المؤيدة للعراق"(٦١). وإن شيسون، الذي استقبله في عام ١٩٨٣، وكذلك شيراك وجوبير وشفنمان قد تلقى التهنئة منهم أحياناً على كتاباته. لقد أظهر شارل سانبرو، في الماضي، بعض التعاطف مع إكزافيه فالا Xavier Vallat، مفوض الشؤون اليهودية في زمن الاحتلال النازي لفرنسا، والذي كرس له مقالات في مجلة آسبيه دي لا فرانس Aspects de la France وفي مجلة ريئاكسيون فرانسيز Réaction Française؛ وكذلك تجاه فرانكو Franco وإدوار درومونت Edouard Drumont، مؤلف كتاب فرنسا اليهودية La France juive.

* * *

لكن هذه الجمعيات بقيت دون سلطة حقيقية، ودون تأثير على القرارات السياسية. وكان أفضل ما قامت به أنها أتاحت للدبلوماسيين العراقيين استثمار مهاراتهم، والعمل على نشر مقالات وبيانات متعاطفة في الصحافة الوطنية وفي الأقاليم. أخيراً، ساعدت هذه الجمعيات السفارة في إعداد قوائم مدعوين لولائم الغداء التي تقام على شرف الصحفيين أو رجال السياسة.

---

(٥٦) كذَّب جاك شيراك في الحال أي التزام من جانبه لصالح إعادة بناء مفاعل تموز. لكن الناطق بلسان الحكومة، آلان جوبه Alain Juppé، وبعض مستشاري رئاسة الوزراء مثل فرانسوا بوجون François Bujon وموريس أولريش Maurice Ulrich، قد أعطوا تفسيرات متناقضة. فبعضهم يقول أن العبارة تعني إعادة جدولة الديون العراقية، وبعضهم الآخر يقول أنها تعني تزويد العراق بأجهزة تشويش متطورة، وبعضهم الآخر أيضاً يقول أن الأمر يتعلق ببيع صواريخ وطائرات ميراج.

(٥٧) يتضمن الملحق رقم (٨) مقاطع من المقابلة التي نشرتها جريدة الأنباء الكويتية

(٥٨) في ذلك الحين، كان صحفي من جريدة لوكنار إنشينيه قد طلب (برسالة، بفاكس، بالهاتف، ثم ببرقية) من فاطمة منصور أن تحدثه عن ما كانت تفكر به حول تكذيب ما ورد في المقابلة. ولم يحصل على أدنى جواب منها بالذات أو من مدير الجريدة اليومية،

(٥٩) نقلت أقوال الرئيس ورئيس الوزراء إلى مؤلفي الكتاب من قبل أحد مساعدي الرئيس.

(٦٠) نشرت هذه الأقوال بموافقة ميشيل نوار.

(٦١) هكذا قدمته جريدة بريزان Présent اليومية الصادرة في ٢٧ آذار ١٩٨٦

اسياسيل

وظائـــف شاغـــرة

بغـــداد

تعلن شركة اسياسيل العراقية للأتصالات عن وجود الوظائف الشاغرة التالية لديها في بغداد:

١- مهندسون و فنيون في مجال الأتصالات المتنقلة.
٢- مهندسون مدنيون.
٣- مهندسو كهرباء و كومبيوتر
٤- موظفو تسويق.

ان يكون المتقدم لديه خبرة جيدة و حاصل على شهادة بكلوريوس او اعلى في مجال اختصاصه . يجيد اللغة الأنكليزية . يجيد استخدام الكومبيوتر.
على من يجد في نفسه الكفاءة. ارسال السيرة الذاتية (CV) في موعد أقصاه ٢٠٠٥/١/٢٠ الى البريد الألكتروني التالي:
bag-jobs@asiacell.com

الموصـــل

تعلن شركة اسياسيل العراقية للأتصالات عن وجود الوظائف الشاغرة التالية لديها في الموصل:

١- مهندسون و فنيون في مجال الأتصالات المتنقلة.
٢- مهندسون مدنيون.
٣- مهندسو كهرباء و كومبيوتر
٤- موظف حسابات.
٥- موظفو تسويق.
٦- موظفون اداريون.

ان يكون المتقدم لديه خبرة جيدة و حاصل على شهادة بكلوريوس او اعلى في مجال اختصاصه . يجيد اللغة الأنكليزية . يجيد استخدام الكومبيوتر.

على من يجد في نفسه الكفاءة. ارسال السيرة الذاتية (CV) في موعد أقصاه ٢٠٠٥/١/٢٠ الى البريد الألكتروني التالي:
mosul-jobs@asiacell.com

المنطقة الاوسطى

تعلن شركة اسياسيل العراقية للأتصالات عن وجود الوظائف الشاغرة التالية لديها في منطقة الفرات الأوسط:

١- مهندسون و فنيون في مجال الأتصالات المتنقلة.
٢- مهندسون مدنيون.
٣- مهندسو كهرباء و كومبيوتر
٤- موظفو حسابات.
٥- موظفو تسويق.
٦- موظفون اداريون
٧- موظفو تموين Logistics

ان يكون المتقدم لديه خبرة جيدة و حاصل على شهادة بكلوريوس او اعلى في مجال اختصاصه . يجيد اللغة الأنكليزية . يجيد استخدام الكومبيوتر.
على من يجد في نفسه الكفاءة. ارسال السيرة الذاتية (CV) في موعد أقصاه ٢٠/١/٢٠٠٥ الى البريد الألكتروني التالي:
furat-jobs@asiacell.com

البصرة والجنوب

تعلن شركة اسياسيل العراقية للأتصالات عن وجود الوظائف الشاغرة التالية لديها في البصرة و جنوب العراق:

١- مهندسون و فنيون في مجال الأتصالات المتنقلة.
٢- مهندسون مدنيون.
٣- مهندسو كهرباء و كومبيوتر
٤- موظفو حسابات.
٥- موظفو تسويق.
٦- موظفون اداريون
٧- موظفو تموين Logistics

ان يكون المتقدم لديه خبرة جيدة و حاصل على شهادة بكلوريوس او اعلى في مجال اختصاصه . يجيد اللغة الأنكليزية . يجيد استخدام الكومبيوتر.
على من يجد في نفسه الكفاءة. ارسال السيرة الذاتية (CV) في موعد أقصاه ٢٠٠٥/١/٢٠ الى البريد الألكتروني التالي:
south-jobs@asiacell.com